مع نزلاء مصر العظماء

المؤتمر الاسلامى والخط الحجازى

حديث قيم وآراء جليلة

لسمو الامير سعيد الجزائرى

ليس فى الشرق رجل واحد لا يعرف من هو الأمير سعيد الجزائرى ، فحسبه فى عراقة المحتد أنه حفيد ذلكم الرجل الخالد الذكر، الجرىء القلب ، الثابت الجنان ، المرحوم الأمير عبد القادر الجزائرى ، وحسب الشرق عرفاناً به أنه — وهو النبيل سليل النبلاء — قد خرج عن طوق بيئته وطبيعتها فى الرفه والنعيم ، وعن سليقتها فى البعد من ملابسة الشعب ، ومسايرته والاتجاه معه فى تفكيره بما يزحزح عنه أثقل الأعباء التى تحز فى كتفه، وتثقل أصفادها عنقه.

خرج الأمير عن مستوى بيئته ، لا ليكون حاكما مستبداً ، ولا ليملأ يده خديعة ثم يبسطها على الناس ، ولا ليكون داعية إلى الشر — ودعاة الشر فى الشرق تنجبهم دائماً أسره العريقة — وإنما خرج ليكون إنساناً يحتمل مثل الذى يحتمله الكافة ، ويهتف بما يهتفون به، وهو يتجلى بينهم فى عقل رشيد ، أو فكر سديد ، يدفعانه إلى طلب الحقائق على وجهها وإذاعتها فى ثوبها الصريح دون أن تأخذه فى ذلك رهبة من عسف ، أو خوف من جبروت .

ذلك هو الأمير سعيد الجزائرى أول لسان هتف باستقلال الشام قبل ان تزحف عليها جيوش الحلفاء، وحينما تولى الأمر فيها، وقبل ان تتصل بها اسباب الانتداب البغيض، وحسبه فى تقرير منزلته بين الخاصة ان يكون فقيد العرب العظيم جلالة الحسين بن على قد كتب إليه من سبعة عشر عاما كتابا يقول منه: « ... ويكفيك يا بنى من الفخار ان تمثل بمناهجك السامية جلال فضائل شرفكم الباذخ، ومجدكم الشامخ، الذى تتوجت به مفارق آبائك واجدادك من سلالة ذلك البيت الطاهر الكريم... »

واختتمه بقوله : « انجالنا يهدونك سلامهم، لا بدان فيصل فدحظى بمشاهدة طلعتك البهية الفيحاء ، إننا لم نزل نذكرك كما تذكرنا »

ولقد كان من أسباب الغبطة أن تتحدث « المعرفة » إلى سموه ، وأن يكون لصاحبها شرف عرفانه والترحيب به أول الأمر فى حفلة الافطار الجامعة التى أقامها شيخ العروبة تكريماً له ، ثم كان من سعادته أن تمتد آصرة العرفان إلى شأو بعيد ، فلا يكون الأمر لقاءا واحداً، وإنما ينتهى إلى أن تتعدد ألوان الشرف فى زورات كثيرات ، كانت جماع آراء ناضجة نذكرها

لقراء « المعرفة » شاكرين لسموه جزيل ما أسدى من رائع أفكاره وسديدها .

خط الحجاز الحديدى

كانت الدولة العثمانية فى عهد الخليفة السلطان عبد الحميد قد هالها ما يتجشمه الوافدون على « المدينة المنورة » من صعاب ومشاق ، وخاصة أولئك الذين يفدون من أقطار بعيدة ، وكان المفكرون قد أخذوا يتعهدون هذه الحالة بآرائهم عسى أن يكون للجميع من ورائها ما ييسر عليهم أسباب الانتقال ، ولقد استقر الرأى على أن يقوم العالم الاسلامى بانشاء خط حديدى يصل ما بين الشام والمدينة ، وكان للعالم الاسلامى يومئذ حبه القوى للتآزر والتساند ، فما كادت الفكرة تطفر إلى الضوء حتى لقيت صداها ، وحتى احتملها أنصار مخلصون ...

دعاية واسعة النطاق

ولقد أثار أولئك الأنصار المخلصون دعاية واسعة النطاق ، دعوا فيها العالم الاسلامى إلى التبرع — كل بما يستطيعه — حتى يتأتى للدولة العثمانية إنشاء هذا الخط الكبير ، وكان من شأن أولئك الدعاة أن تفرقوا فى بلدان الاسلام كلها : طائفة فى مصر ، وأخرى فى الشام ، وثالثة فى الهند ، ورابعة فى الصين ، وخامسة وسادسة ... فى أشتات البلاد الاسلامية جميعاً ، وكانت هذه الدعاية فرصة سانحة للمسلمين ، الذين تناولوا الفكرة بالاكبار ، إكباراً جماً ، والذين أقبلوا على التبرع له إقبالا مقطوع النظير فى روعته وسخائه .

تذكارات

وأدركت الدولة العثمانية يومئذ — أو أدرك الخليفة بتعبير أدق وأفصح — أن عطفه قد يدعو عظماء المسلمين إلى التنافس فى التبرعات ، فأحدث حشدا من الأوسمة الذهبية والفضية وأطلق عليها اسم « أوسمة إعانة السكة الحديدية الحجازية » وكان الدعاة يحملون معهم أكداساً منها ليعملوا بها باسم الخليفة عمل أولئك الذين كانت لهم فى وثبة التبرع خطوات محمودة .

على أن الأموال التى جمعتها من التبرعات — على ضخامتها — لم تكن على النحو الذى يعدل مصاريف هذا الحدث الكبير ، فكان من أثر ذلك أن أصدرت الدولة العثمانية طوابع بريد خاصة بهذا الخط ، وكان إقبال الجماهير عليها باعثاً على استبقائها حتى عام ١٩١٣ .

إنشاء الخط الحديدى

تحققت الآمال إذن ، وتكدست الأموال فى خزائن الدولة ، وتم إنشاء الخط الحديدى فى كثير من الجهد ، وكثير من العناية ، ثم كان مصيره مستقراً عند حسبانه وقفاً شرعياً لا سيطرة لدولة عليه ... على أن الخليفة يتولى نظارة وقفه ، وقد كان الأمر متمشياً فى سياقه

الطبيعى، فايراد الخط ينفق منه مبلغ على العناية به والسهر عليه ، وينفق المبلغ الآخر فى تبرعات تسدى إلى طوائف الفقراء من الوافدين على البيت الحرام .

النكبة الأولى

على أن عادية الدهر قد أخذت تدفع على ذلك الخط من صواعقها، فقد نشبت الحرب الكبرى ، ومزقت فى خلالها أوصال خط الحجاز ، بينما كانت خيراته كفيلة باحيائه إلى الأبد ، ولقد زعمنا أنه سيعود سيرته متى انتهت الحرب،ولكن شيئاً من ذلك لم يكن،فكأنه كان اللقمة الطيبة التى يترقبها الناهم الجشع ...

نكبات أخرى

ذلك أن الشركات التى تتولى إدارة الخطوط الحديدية فى سوريا وفلسطين قد ضربت بخط الحجاز عرض الحائط،وقد حالت بذلك الصنيع بين المسلمين جميعهم وبين التمتع به ، وهم أولئك الذين أنفقوا عليه وتعهدوه ..

ولقد حسبنا أن احتجاجاً واحداً نبعث به إلى الوزارة الفرنسية أو الوزارة الانجليزية سيحدث أثره فينتهى الأمر فى شىء من السلام وشىء من الهدوء ، ولكن سيلا من احتجاجاتنا لم يفد شيئاً...

لجنة الدفاع

هنا رأى الكثيرون من رجالات دمشق وأخيارها،أن الأمر قد انتهى إلى صميم المهانة بمركز المسلمين، والزراية بهم زراية جريئة،فألفوا منهم لجنة همها الدفاع عن ذلك الخط واعتباره وقفا شرعيا ، واسترداده من مغتصبه،ولقد تفضلت اللجنة فأسندت رئاستها إلى...

وما من ريب فى أن تأليف هذه اللجنة قد أحدث أثره، وانتج إنتاجه الحق، فان دعايتها فى العالم كله كانت حتى اليوم دعاية واسعة النطاق،فقد اسمعت صوتها رجال عصبة الأمم ومحكمة العدل الدولية ، كما أسمعته لرجال الوزارة فى فرانسا وانجلترا ، وماتزال ماضية حتى اليوم دون هوادة أو مواناة ...

فى المؤتمر الأسلامى

على أن المؤتمر الاسلامى الذى عقد بمدينة القدس كان فرصة سانحة لنا ، وقد انتهزناها أيما انتهاز،فأهبنا بالمسلمين جميعهم — فى أشخاص ممثليهم من أعضاء المؤتمر — أن يكون دفاعهم عن الخط الحجازى دفاعاً جريئاً، وكان لنا فى عناية المؤتمر بهذا الأمر مشجعا على المضى، وحافزاً على أن يكون استبسالنا فى الدفاع بالغا أشده ...

قرارات المؤتمر

وما دمنا قد ذكرنا لك المؤتمر الاسلامى ، فمن حقنا أن نعقب عليه بكلمات قلائل، حتى يدرك

المسلمون مبلغ خطره وأثره — ولقد كنا من أوفر الناس تشيعاً لفكرته وإيمانا بسدادها .

أما خطره فما فيه من ريب، لأنه مكن المسلمين أن يتلاقوا — فى أشخاص ممثليهم — على أديم واحد ، ومكن لهم إلى ذلك أن يظهروا على أن للأسلام صوتا مايزال قويا وقلباً مايزال قبساً وروحاً مايزال حيا . . .

وأما أثره فانه الأثر الجليل الرائع الذى يفهم المسلمون منه أن لهم الآن مرجعاً — ولو أنه مرجع محدود النفوذ — يلجأون اليه فى آلامهم وآمالهم ، ولست أرى ما يراه غيرى من أن قرارات المؤتمر لن تكون لها قيمة الورق الذى كتبت عليه، فانى أومن بأن الكثير منها سينفذ تنفيذاً لا يدع كلة لمتقول، ولا تعقيباً لحقود...

وإذا كنا قد كسبنا فى مؤتمراتنا الأولى هذا الكسب المجيد، فالحق أن مايستقبلنا فى مؤتمراتنا القادمة سيكون كسباً أمجد .

حقق الله آمال المسلمين، وقوى عزائمهم، وضم إلى صميم التوفيق والسداد خطاهم ؟ ع

توحيد العالم

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١١٧١)

والعرفانية والاجتماعية والفلسفية والصناعية ، وهكذا دواليك ، فى منطق وقوة حجة ، وسرعة بديهة ، ومن غير كلفة ولا تعنت ولا استكراه .

ثم تحدث عما ينتهى إليه امر توحيد البرامج التعليمية من توحيد فى النتائج، وتوحيد فى الميول ، وتوحيد فى الثقافات، وتوحيد فى الاذواق، وخلق جو جديد للمحبة والصداقة ، ولحمة القربى، لا فى الدم، بل فى الروح والعاطفة.

* * *

ثم ناشد (تاجور) أن يعمل، وأن يوجه نظر الساسة المسؤولين إلى العمل معه على تدعيم عصبة الأمم ، وتوسيع سلطانها ، ومسايرة الطبيعة مسايرة مخلصة بريئة فى تحقيق مشيئتها من توطيد العلاقات العالمية وتوحيد الصلات البشرية لخير الانسانية وإسعاد مستقبل العالم.

* * *

فما رأى العلماء والفلاسفة فى هذه الأفكار الاصلاحية الجريئة، وأى قول لهم يعقبون به عليها ؟

وما رأى شيخ العروبة احمد زكى باشا ؟ هذا هو الميدان فدونك به ؟ ع